الفلسفة ثانية باك

مفهوم التاريخ (المحور الأول : المعرفة التاريخية)

الأستاذ: حسن شدادي

الفهرس

I- الإشكالية
II- الموقف الفلسفي 1 : هنري مارو
2-1/ النص الفلسفي
2-2/ الأسئلة
2-3/ التصور الفلسفي
III- الموقف الفلسفي 2 : ريمون أرون
3-1/ النص الفلسفي
3-2/ الأسئلة
3-3/ التصور الفلسفي
IV- الموقف الفلسفي 3 : غاستون غرانجي
4-1/ النص الفلسفي
4-2/ الأسئلة
4-3/ التصور الفلسفي
V- تركيب

I- الإشكالية

إن الإنسان لا ينخرط في مجرى التاريخ ووقائعه، بل يجعل من التاريخ موضوع معرفة منظمة وموثقة، فهو يتطلع إلى وصف أحداث الماضي وفهم منطقها التاريخي وبيان كيفية حدوثها. وعلى ذلك نتساءل:

- هل يمكن جعل أحداث التاريخ ووقائع الماضي موضوع معرفة علمية ؟
- وإذا كان ذلك ممكنا، فما طبيعة هذه المعرفة ؟ ما شروطها ؟
- وهل تتطابق مع وقائعها التاريخية كما هي فعلا ؟

II- الموقف الفلسفي 1 : هنري مارو

2-1/ النص الفلسفي

ما التاريخ ؟ سـأقترح الإجابة التالية: التاريخ هو معرفة الماضي الإنساني.. نحن نقول « معرفة » وليس كما اعتقد البعض « سـردا للماضي الإنساني »، أو أيضا، « عملا أدبيا هدفه إعادة حكي هذا الماضي». صحيح أنه من الضروري لأي عمل تاريخي – كما هي العادة – الوصول إلى مستوى إنجاز شيء مكتوب، لكن الأمر يتعلق هنا بضرورة ذات طبيعة عملية (الوظيفة الاجتماعية للمؤرخ..): في الواقع، إن التاريخ يوجد مسبقا وبشكل مكتمل في ذهن المؤرخ قبل أن يقوم بتدوينه؛ ولكن رغم هذا التداخل بين هاتين الطريقتين من العمل، فإنهما متمايزتان من الناحية المنطقية.

إن التاريخ معرفة وليس « بحثا » أو « دراسـة » – كما يرى البعض الآخر –، لأن ذلك سـيؤدي إلى الخلط بين الغاية والوسائل. إن ما يهمنا هو النتائج التي نتوصل إليها عن طريق البحث، إذ لن نتابع البحث إن كان التوصل إلى نتائج أمرا غير ضروري. إن التاريخ يتحدد بالحقيقة التي يكون قادرا على بلورتهـا. فعندما نقول معرفة، فنحن نقصد بذلك معرفة صحيحة وحقيقية. ومن هنا فالتاريخ يتعارض مـع ما يمكن أن يكون تمثلا خاطئا أو مزيفـا، ولا واقعيا للماضي، ويتعارض مع الطوباوية والتاريخ الخيالي .. والأسطورة والتقاليد الشعبية والحكايات البيداغوجية...

إن هذه الحقيقة المرتبطة بالمعرفة التاريخية تعتبر – بدون شك – نموذجا، و كلما تقدم تحليلنا له كلما بدا لنا أنه ليس من السهل بلوغه: ينبغي أن يكون التاريخ، على الأقل، نتيجة المجهود الأكثر صرامة وتنظيما للاقتراب منه. ولذلك يمكن أن ندقق تعريفنا فنقول: « التاريخ هو المعرفة العلمية المكونة عن الماضي.».

Henri -Irénée Marrou, De la connaissance historique, Paris, Seuil, 1959, pp. 32 - 33.

2-2/ الأسئلة

1- أبني الإشكال من خلال :

- إبراز الموضوع الرئيسي الذي يعالجه مارو.
- صياغة السؤال الذي يفترض أن مارو يجيب عنه.

2- أبني أطروحة مارو من خلال :

- تفكيك فقرات النص بناء على الروابط المنطقية.
- تحديد وظيفة تلك الروابط المنطقية (العرض، الإثبات، النقد ..).
- استخلاص جواب مارو عن الإشكال المطروح أهو إثبات لموقف سابق ؟ أم عرض لموقف خاص ؟ أم انتقاد لموقف مغاير ؟

3- أحكم على أطروحة مارو وقيمتها الفلسفية من خلال :

- بيان ما إذا كان مضمون هذه الأطروحة ما يزال يحتفظ براهنيته أم أصبح متجاوزا.
- بيان طبيعة الحجاج الذي تقوم عليه الأطروحة، مع إبراز ما إذا كان مقنعا من حيث تطابقه مع مبادئ العقل أو الواقع أو العلم...

2-3/ التصور الفلسفي

يحدد هنري مارو التاريخ لا بكونه مجرد سرد لحوادث الماضي ولا بوصفه مجرد عمل أدبي، بل إن التاريخ هو المعرفة العلمية المكونة عن الماضي.

إن المؤرخ مطالب أن ينقل التاريخ من فن أو أدب إلى علم ومعرفة، وإن المؤرخ ينشئ التاريخ في ذهنه قبل أن ينشئه كأثر مكتوب، ذلك أن المؤرخ ينطلق في كتابة التاريخ من خلفية نظرية وإيديولوجية ومنهجية توجهه في كتابة التاريخ كما يراه.

إن التاريخ كمعرفة وعلم هو بناء محكم لتشييد حقيقة ما، وهنا لا بد أن يستند المؤرخ إلى منهج علمي واضح ودقيق في إنشاء التاريخ باعتبار الحقيقة التي يعمل على بنائها.

III- الموقف الفلسفي 2 : ريمون أرون

3-1/ النص الفلسفي

إن التاريخ والمعرفة التاريخية لا ينتحان أوهاما، بل يحكيان ويعيدان ما مضى وما سيأتي. ما نعيشه اليوم سينتمي غدا إلى التاريخ: إننا مقتنعون بواقعية العالم الذي يحيط بنا والذي سيصبح جزءا من الماضي. إن هذه الصيغ الواقعية لا تجد مع ذلك حلا للسؤال المرتبط بموضوع المعرفة التاريخية، فما يوجد اليوم فيزيائيا ينحصر في الآثار والوثائق التي تم جمعها وانتقاؤها تبعا لإرادة التاريخ أولا، والمؤرخ ثانيا.

إن الماضي حاضر على شكل آثار، ما زلنا إلى حد الآن نراه ونفهم معناه. وذلك في حالة ما إذا افترضنا بأن هدفنا يتحدد في إيجاد الفكرة التي يحملها الذين عاصروا تلك الآثار، والذين قاموا ببنائها، والذين أشرفوا عليها، والذين كانوا يعيشون فيها. سيكون الموضوع، في هذه الحالة، مركبا من أحداث الوعي التي كانت موجودة آنذاك لكنها أحداث لا توجد اليوم ولا يمكنها أن توجد أبدا.فما نريد معرفته لم يعد له وجود، وفضولنا يهدف إلى معرفة ما كان موجودا باعتباره لم يعد موجودا. إن موضوع التاريخ واقع لم يعد له وجود، وهذا الواقع هو واقع إنساني. فتصرفات المحاربين كانت ذات دلالة، والحرب ليست واقعة مادية. فهي مجموعة لا تعرف انسجاما تاما، وتتكون من تصرفات الفاعلين، وهي تصرفات تم تنسيقها إلى حدود مقبولة بواسطة النظام المفروض على الجيش ومقاصد الضباط لكي تتمكن كل وحدة منهم من التصرف بشكل معقول.. ليس موضوع المعرفة التاريخية مجموعا مركبا من الأحداث الواقعية بشكل عشوائي، وإنما هو عبارة عن مجموعات متمفصلة ومعقولة.

R. Aron, Dimensions de la conscience historique, Paris, Plon, 1861, pp. 110-112

3-2/ الأسئلة

1- أبني الإشكال من خلال :

- إبراز الموضوع الرئيسي الذي يعالجه أرون.
- صياغة السؤال الذي يفترض أن أرون يجيب عنه.

2- أبني أطروحة آرون من خلال :

- تفكيك فقرات النص بناء على الروابط المنطقية.
- تحديد وظيفة تلك الروابط المنطقية (العرض، الاثبات، النقد ..).
- استخلاص جواب أرون عن الإشكال المطروح : أهو إثبات لموقف سابق ؟ أم عرض لموقف خاص ؟ أم انتقاد لموقف مغاير ؟

3- أستنبط البنية المفاهيمية للنص من خلال :

- استخراج المفاهيم المعتمدة في النص.

- ترتيبها في شكل خطاطة بدءا من العام إلى الخاص.
- كيفية توظيفها لبناء الأطروحة الواردة في النص.

3-3/ التصور الفلسفي

يرى آرون أن المعرفة التاريخية تسعى إلى تحديد معالم الماضي باعتباره مجموعة من الوقائع التي حصلت في مكان وزمان محددين، ولذلك فإن استحضار هذا الماضي ليس عملية سهلة، لأن ذلك يقتضي توفر منهج خاص يعيد بناء الظاهرة التاريخية انطلاقا من إخضاع الوثائق لهذا المنهج.

ومع ذلك يظل بناء معرفة دقيقة بالماضي يواجه عائق المسافة الزمنية التي تفصل الماضي عن الحاضر، والتي تجعل إدراك معاني ودلالات سلوكات وإنجازات الذين عاشوا قبلنا عملية صعبة، ومن ثم تضل كل محاولة لمعرفة علمية وموضوعية عملية شاقة، وتحول دونها صعوبات تجعل من تلك المعرفة بالماضي معرفة نسبية.

IV- الموقف الفلسفي 3 : غاستون غرانجي

1-4/ النص الفلسفي

إن التاريخ يحدد جانبا من جوانب المعرفة العلمية، غير أنه لا يمكن لتحقيقه أن يمثل تتويجا لعلم إنساني، لأنه لا يعد ضمن العلوم الإنسانية.. ولا يشكل غايتها النهائية.إن التاريخ بهذا المعنى معرفة إكلينيكية. وإذا كان علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد..يستعملون هذه الطريقة بشكل تطبيقي فعال، فإن التاريخ على العكس من ذلك يشكل مثالا مفارقا لوضعية إكلينيكية بدون تطبيق..

يمكننا القول إن التاريخ، باعتباره تخصصا مستقلا، ليس في الواقع واحدا من العلوم الإنسانية. وفي هذا المجال لا يمكن أن نتحدث عن القوانين والمتغيرات والنماذج، إلا بنوع من التجاوز والتعسف. إننا نخلط هنا، بين التاريخ وعلم الاجتماع وعلم النفس والاقتصاد..وإذا عرفنا العلم بكونه إنشاء لنماذج فعالة خاصة بالظواهر، فإننا نلاحظ أن التاريخ ينفلت من أيدينا لكونه لا يهتم ببلورة النماذج لمعالجة الوقائع، بل يهتم بإعادة بناء تلك الوقائع ذاتها التي تمت معايشتها فرديا... يوجد المؤرخ دوما في وضعية يشوبها اللبس والغموض.. إنه يكون تارة عالم اجتماع وتارة عالم اقتصاد أو عالم لغة أو عالم نفس، برجوعه إلى نماذج صورية واضحة بهذا القدر أو ذاك. ولذلك، سيكون من حقه أن يطالب بتأصيل مادة تخصصه، لكون توجهه يختلف عن توجهاتهم وأهدافهم...

إن ميل التاريخ إلى ماهو جمالي يجعله يدخل في إطار الرواية، وميله إلى ماهو صوري يجعله يدخل في إطار العلوم الاجتماعية.وموهبة المؤرخ تمكنه من التأرجح بين هذين القطبين، فباعتباره مادة وتخصصا مستقلا وقائما بذاته، يبدو لنا التاريخ ليس كعلم، بل هو واحد من الفنون التي تميز الثقافة لكونه لا يمثل معرفة تقنية، بل هو تقنية لا تهدف إلى تغيير عالمنا بل تهدف إلى بناء الماضي، والمرتبط بحياة الأفراد، يفرض على التاريخ أن يكون عبارة عن إيديولوجيا رغم ما يحظى به من اهتمام كي يصبح موضوعيا.

G.G. Granger, Pensée formelle et sciences de l homme, Paris, Aubier,1960, pp. 206-208.

2-4/ الأسئلة

1- أبني الإشكال من خلال :

- إبراز الموضوع الرئيسي الذي يعالجه غرانجي.
- صياغة السؤال الذي يفترض أن غرانجي يجيب عنه.

2- أبني أطروحة غرانجي من خلال :

- تفكيك فقرات النص بناء على الروابط المنطقية.
- تحديد وظيفة تلك الروابط المنطقية (العرض، الإثبات، النقد ..).
- استخلاص جواب غرانجي عن الإشكال المطروح : أهو إثبات لموقف سابق ؟ أم عرض لموقف خاص ؟ أم انتقاد لموقف مغاير ؟

3- أستنبط البنية المفاهيمية للنص من خلال :

- استخراج المفاهيم المعتمدة في النص.
- ترتيبها في شكل خطاطة بدءا من العام إلى الخاص.
- كيفية توظيفها لبناء الأطروحة الواردة في النص.

4- أناقش أطروحة صاحب النص من خلال :

- المقارنة مع أطروحة مارو وأطروحة آرون.
- طبيعة الحجج المعتمدة ق النصوص الثلاثة مع بيان نقط التشابه والاختلاف.

3-4/ التصور الفلسفي

يرفض غرانجي اعتبار التاريخ علما من العلوم الإنسانية، ذلك لأن المعرفة التاريخية كإعادة لبناء الماضي و كأيديولوجيا، لم ترق بعد إلى مستوى المعرفة العلمية الموضوعية. لذلك فالتاريخ حسب غرانجي يمكن اعتباره بمثابة فن من الفنون التي تميز الثقافة الإنسانية، والتي تهدف إلى بناء معرفة خاصة (ذاتية) بالماضي.

V- تركيب

إن القول بأن التاريخ هو معرفة بماضي الإنسان، قول يضعنا أمام إشكال بناء هذه المعرفة التاريخية، من حيث إنها معرفة يبنيها المؤرخ انطلاقا من قيم زمانه، ومن رؤية خاصة للحدث التاريخي.

إن عمل المؤرخ القائم على البحث والتنقيب وإعادة تركيب نقدي للوثائق، مع ما يقتضيه ذلك من تباعد، لا يجب أن ينسينا محدودية هذا العمل، ومدى التداخل بين الذاتي والموضوعي، وبين الماضي والحاضر.

